الملائكة في ضوء الوحي
واجتهاد العقل

اعداد د

عبد الفتاح عثمان ابراهيم

مدرس العقيدة والفلسفة بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الملائكة في ضوء الوحي واجتهاد العقل

الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة هو الأصل الثانى من أصول الايمان ، وقد أشار إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله [١] .

وأشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن الإيمان فقال : " الايمان أن تؤمن بالله وملائكته " [٢]

فذكر الايمان بالملائكه بعد الايمان بالله تعالى يفيد أن الإيمان بالملائكة يلى الإيمان بالله تعالى من حيث الأهمية كما أنه يليه من حيث الترتيب فى الذكر وكما أن الايمان بالله تعالى هو الأصل الأول للإيمان كله فإن الإيمان بالملائكة يعتبر الأصل من أصول الإيمان .

معنى لفظ الملائكة :

الملائكة جمع ملك . وملك اصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك . وهى الرسالة . ثم قلبت اللام فقيل ملاك . ثم تركت الهمزة لكثرة الاستعمال فقيل ملك . فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا: ملائكة وملائك أيضا [٣].

---

(١) البقرة - آية - ٢٨٥ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) لسان العرب - ٦/ ٤٢٦٩ - طبعة دار المعارف .

والملك جسم لطيف نورانى يتشكل باشكال مختلفة [١] .

الدليل على امكان وجود الملائكة :

أما الدليل على مكان وجود الملائكة فهو عقلى ونقلى .

أما الدليل العقلى فهو :

أولاً : ان كل شىء لم يرد دليل على استحالته أو وجوبه فاننا نحكم عليه بالامكان ايا كان والملائكة لم يقل احد بوجوب وجودهم ولا باستحالته فوجودهم اذا ممكن .

ثانياً : أننا نحكم بوجود اشياء دون أن نراها كالعقل أو الروح والجاذبيه ونحوها .

ثالثاً : أن قضية القضايا وهى الألوهيه وهى من الغيب وقد أقر بها كل العقلاء ووجود الملائكة فرع وجود الالوهية .

الأدلة النقلية : وأما الأدلة النقلية فمنها : قوله تعالى " ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا لااله الا انا فاتقون " [٢] وقوله تعالى " شهد الله انه لااله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم [٣]

وقوله تعالى : " تنزل الملائكة والرح فيها بإذن ربهم من كل أمر " [٤].

---

(١) شرح المقاصد – ٥/ ٦٢ .

(٢) سورة النحل الايه – ٢ .

(٣) سورة آل عمران الاية – ١٨ .

(٤) سورة القدر آية – ٤ .

ن الملائكة ؟

اتفق جمهور المسلمين على أن " الملائكة عباد مكرمون
طبون على الطاعة ويظهرون فى صور مختلفة ويتمكنون من
مال شاقة . ومع كونهم أجسادا أحياء لايتصفون بذكورة أو
وثة[1] .

وقيل أيضا فى وصفهم : " أنهم مخلوقات شريفه ذات أجسام
ورانية لطيفة مخلوقات غيبية عنا لانراهم فى الحالات العادية
قادرون على التشكل بالأشكال الجثمانية المختلفه المرئية لنا ذو
قدرات خارقه لاحصر لهم مقربون إلى الله تعالى طائعون لا
يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون لا يتناكحون ولا
يتناسلون ولا يأكلون ولا يشربون يحملون رسالات الله ويؤدون
وظائفهم فى الاكوان بحسب مجرى الاقدار على مراد العزيز
الجبار " [2].

وقد ورد أنهم قد يظهرون لبعض الناس دون بعض . فعن
عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت مع أبى عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يناجيه فكان
كالمعرض عن أبى . فخرجنا من عنده فقال لى ابى : اى بنى الم
تر الى ابن عمك كالمعرض عنى ؟ فقلت : ياأبت إنه كان عنده
رجل يناجيه قال : فرجعنا إليه صلى الله عليه وسلم فقال أبى:
يارسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فاخبرنى انه كان عندك رجل
يناجيك . فهل كان عندك أحد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) شرح المقاصد - ٥/ ٦٢ .

(٢) العقيدة الاسلامية : تأليف - عبد الحمن حبنكه الميدانى - ٢٧٩ .

وسلم : " وهل رأيته ياعبد الله ؟ " قال : قلت : نعم . قال : " فان ذلك جبريل وهو الذى شغلنى عنك " (١) .

وقد ورد أن جماعة من الملائكة دخلت على سيدنا ابراهيم فى صورة آدميين يحملون البشرى وظنهم ضيوفا فقدم اليهم الطعام وذلك فى قوله تعالى : " ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام . فما لبث ان جاء بعجل حنيذ. فلما رأى ايديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة . قالوا : لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا. إن هذا لشىء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت إنه حميد مجيد (٢).

وقد ورد أيضا أن جبريل عليه السلام جاء إلى السيدة مريم متمثلا فى صورة بشريه وذلك فى قوله تعالى : " واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (٣).

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : " بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد

---

(١) المنتخب من السنه - ٢/ ٢٢١ و ٢٢٢ .

(٢) سورة هود الآيات ٦٩/ ٧٣ .

(٣) آيتين ١٦و١٧ سورة مريم .

برنى عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلام ان تشهد ان لااله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم صلاة وتؤتى الزكاة . وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت يه سبيلا . قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال أخبرنى عن الايمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : فمالمسؤول عنها بأعلم من السائل. قال : فأخبرنى عن أماراتها قال : أن تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم . (١)

الاختلاف فى حقيقة الملائكة :

وهناك مذاهب مختلفة فى حقيقة الملائكة . وطريق ضبط هذه المذاهب أن يقال : الملائكة لابد أن تكون ذوات قائمة بأنفسها ثم ان تلك الذوات اما ان تكون متحيزة او غير متحيزة . والقائلون بأن الملائكة ذوات متحيزة منهم من قال بأن الملائكة أجسام لطيفة هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفه مسكنها السماوات وهذا قول اكثر المسلمين .

ومنهم من قال بأن الملائكة هى فى الحقيقة هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس وهى أحياء ناطقة المسعدات منها ملائكة الرحمة والمنحسات منها ملائكة العذاب وهذا قول طوائف من عبدة الأوثان . ومنهم من قال : بأن هذا العالم مركب من

---

(١) رواه الخمسة .

أصلين أزليين هما النور والظلمة وهما فى الحقيقة جوهران شفافان مختاران قادران متضادا النفس مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع وجوهر الظلمة على ضد ذلك ثم إن جوهر النور لم يزل يولد الحكمة من الحكيم وجوهر الظلمة لم يزل يولد الاعداء وهم الشياطين لا على سبيل التناكح بل على سبيل تولد السفه من السفيه. وهو قول معظم المجوس والثنوية .

وأما القائلون بأن الملائكة ذوات غير متحيزة ولا أجسام فمنهم من وصف الملائكة بالانفس الناطقة المفارقه لأبد انها على نعت الصفاء والخيرية وذلك لان هذه النفوس المفارقه ان كانت صافية خالصة فهى الملائكة وان كانت خبيثة كدرة فهى الشياطين. وهو قول طائفة من النصارى .(١)

ونقل عن المعتزلة أنهم قالوا : الملائكة والجن والشياطين متحدون فى النوع ومختلفون باختلاف أفعالهم أما الذين لايفعلون الا الخير فهم الملائكة واما الذين لا يفعلون الا الشر فهم الشياطين وأما الذين يفعلون هذا تارة وتارة ذاك فهم الجن ولذلك عد ابليس تارة من الملائكة وتارة من الجن (٢). ومنهم من قال : إنها جواهر قائمة بأنفسها ليست بمتحيزة البتة وأنها بالماهية مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشرية وأنها أكمل قوة منها وأكثر علما منها وأنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الاضواء . ثم إن هذه الجواهر على قسمين منها ماهى بالنسبة الى اجرام الافلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة الى ابداننا ومنها ماهى لاعلى

---

(١) تفسير الفخر الرازى - ١/ ٢٤٨

هامش المحصل تلخيص نصير الدين الطوسى / ١٤٢ .

شيء من تدبير الافلاك بل هى مستغرقة فى نعرفة الله ومحبته ومشتغلة بطاعته وهم الملائكة المقربون ونسبتهم الى الملائكة الذين يدبرون السماوات كنسبة اولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة وقيل إن هناك نوعا آخر من الملائكة وهى الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلى ثم ان المدبرات لهذا العالم إن كانت خيرة فهم الملائكة وإن كانت شريرة فهم الشياطين وهذا القول قول الفلاسفة(١).

شرح وجهة نظر الفلاسفة :

ويرى الفلاسفة أن الملائكة المقربون أشرف من الملائكة السماوية - اى نفوس السماوات - لأنهم يفيدون والملائكة السماوية مستفيدون والمفيد اشرف من المستفيد ولذلك شبه الاشرف بالقلم لانه المفيد فقال تعالى : " علم بالقلم " وشبه المستفيد باللوح (٢)

والقلم واللوح ملائكة (والمراد باللوح المحفوظ نفوس السماوات ، وان انتقاش جزئيات العالم فيها ، يضاهى انتقاش المحفوظات فى القوة الحافظة المودعة فى دماغ الانسان ، لا انه جسم صلب عريض مكتوبة عليه الاشياء كما يكتب الصبيان على اللوح ، لان تلك الكتابة تستدعى كثرتها اتساع المكتوب عليه، واذا لم يكن للمكتوب نهاية ، لم يكن للمكتوب عليه نهاية ولا يتصور جسم لا نهاية له ولا تمكن خطوط لا نهاية لها على جسم ولا يمكن تعريف اشياء لا نهاية لها على جسم بخطوط معدودة) (٣).

---

(١) تفسير الفخر الرازى - ١/ ٢٤٨ / بتصرف .

(٢) تهافت الفلاسفة / ٢٢٤ .

(٣) تهافت الفلاسفة / ٢٢٤ الصدر السابق.

فالقلم واللوح ملائكة اذن ، وهذا مايؤكده ابن سينا بقوله :

(لاتظنن أن القلم آلة جمادية واللوح بسيط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحانى ، واللوح ملك روحانى، والكتابة تصور الحقائق ، فالقلم يتلقى مافى الامر من المعانى ويستودعه اللوح بالكتابة الروحانية ، فينبعث القضاء من القلم ، والتقدير من اللوح ، أما القضاء فيشتمل على مضمون امره الواحد ، والتقدير يشتمل على مضمون التنزيل بقدر معلوم ، ومنهما يسنح الى الملائكة التى فى السماوات ، ثم يفيض الى الملائكة التى فى الارضين ، ثم يحصل المقدور فى الوجود [١] .

والافلاك ايضا ملائكة : يقول ابن سينا : " وقد ذاع فى الشرعيات ان الملائكة أحياء قطعا لا يموتون كالإنسان الذى يموت، فاذا قيل إن الأفلاك أحياء ناطقة لاتموت والحى الناطق الغير ميت يسمى ملكا ، فالافلاك تسمى ملائكة ، فاذا تقدم هذه المقدمات ، وضح أن العرش محمول ثمانية ووضح أن تفسير المفسرين أنها ثمانية افلاك [٢].

(وقد ربط ابن سينا مصطلحات نظرية العقول بالمصطلحات الدينية ربطا يدل على خيال فلسفى خصيب ، وقدرة واسعة فى التأويل والتوفيق : فالفلك الاول هو العرش ، والثانى هو الكرسى مع السبعة الباقية هم حملة العرش الثمانية ، والعقول العشرة هم الملائكة المقربون ، ومجموعهم هو القلم والنفوس التسع هم الملائكة السماوية ، ومجموعهم هو اللوح والعقل العاشر هو

---

(١) رسائل فى الحكمة والطبيعات لابن سينا / ٦٧ .

(٢) المصدر السابق – ١٢٨و ١٢٩ .

: روح القدس والروح الامين [١]. وهـذا يعنـى ان الملائكـة
ـ ايضـا لأن جبريل هـو العقـل العاشـر وهـو مـن الملائكـة،
النفوس والأفلاك .

وجدت الملائكة :

زعم الفلاسفة أن الملائكـة وجدوا بـالتدريج ، لأنـه لايصـدر
ـن الواحد الا واحد وهو مايسمى بنظريـة الفيض ، ومـؤدى هـذه
ـظرية : (ان الاول تعالى واجب وعلم ذاتـه فبعلمـه الأول وجـب
عنه عقل وذلك العقل علم الأول وعلم ذاتـه ، فبعلمـه الأول وجـب
عنه عقل ، وبعلمه مادون الاول وجب عنه نفس الفلـك الأطلسـى،
يعنى الفلك الاقصى والفلك الاول الذى هو العرش ، ثم ذلك العقـل
علم الأول وعلم مـادون الاول ، فبعلمـه الاول وجـب عنـه عقـل ،
وبعلمه مادون الاول وجب عنه الفلك المكوكب الذى هو الكرسـى،
ثم ذلك العقل علم الأول وعلم مادون الأول ، فبعلمـه الاول وجـب
عنه عقل ، وبعلمه مادون الاول وجب عنه نفس فلك زحل ، ثـم
ذلك العقل علم الأول وعلم مادون الأول ، فبعلمه الأول وجب عنه
عقل وبعلمه مادون الأول وجب عنه نفس فلك المشترى . ثم ذلـك
العقل علـم الأول وعلـم مـادون الأول ، فبعلمـه الأول وجـب عنـه
عقل وبعلمه مادون الاول وجب عنه نفس ذلـك المريـخ . ثـم ذلـك
العقل علم الأول وعلم مادون الأول فبعلمه الأول وجب عنـه عقـل
وبعلمه مادون الأول وجب عنه نفس فلك الشمس . ثـم ذلـك العقـل
علم الأول وعلم وعلم مادون الأول ، فبعلمه الأول وجب عنه عقل
وبعلمه مادون الأول وجب عنه نفس فلك الزهرة . ثـم ذلـك العقـل
علم الأول وعلـم مـادون الأول ، فبعلمـه الأول وجـب عـن عقـل

---

[١] هامش كتاب الهداية لابن سينا تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور / محمد

وبعلمه مادون الأول وجب عنه نفس فلك عطارد . ثم ذلك العقل علم الأول وعلم مادون الأول ، فبعلمه الأول وجب عنه عقل وبعلمه مادون الأول وجب عنه نفس فلك القمر . فهذا العقل الأخير يقال له العقل الفعال وواهب الصور والروح الأمين جبريل والناموس الأكبر (١).

اعتراضات على وجهة نظر الفلاسفة :

والمتأمل فى هذه النظرية يدرك أنها افتراضات وهمية ركيكة نشأت عن فكر ذميم وخيال سقيم مما جعل العقلاء يرفضونها ويعرضون عنها ويعملون على نقضها وإبطالها يقول الامام الغزالى : " وهذا المذهب لشناعته هجرة (ابن سينا) وسائر المحققين وزعموا أن الأول يعقل نفسه مبدأ لفيضان مايفيض منه ويعقل الموجودات كلها بانواعها عقلا كليا لا جزئيا ، إذ استقبحوا قول القائل : المبدأ الأول لايصدر عنه الا عقل واحد ثم لايعقل ما يصدر منه ومعلوله عقل ويفيض منه : عقل ونفس فلك وجرم فلك ويعقل نفسه ومعلوماته الثلاثة ، وعلته ومبدأه ، فيكون المعلول اشرف من العلة ، من حيث إن العلة مافاض منها إلا واحد ، وقد فاض من هذا ـ اى المعلول ـ ثلاثة امور ، الأول ماعقل الا نفسه وهذا ـ اى المعلول عقل نفسه ، ونفس المبدأ الأول ونفس المعلومات ، ومن قنع أن يكون قوله فى الله تعالى راجعا إلى هذه الرتبة، فقد جعله أحقر من كل موجود : يعقل نفسه ويعقل غيره فإن مايعقل غيره ويعقل نفسه أشرف منزلة منه إذا كان هو لايعقل إلا نفسه . يقول الإمام الغزالى :

---

(١) المصدر السابق / ٢٨١ ، ٢٨٢ .

فقد انتهى بهم التعمق فى التعظيم ، إلى أن أبطلوا كل مـايفهم من العظمة وقربوا حاله تعالى من حال الميت الذى لاخبر له بما يجرى فـى العـالم إلا أنـه فـارق الميت فـى شعوره بنفسه فقط ، وهكذا يفعل الله سبحانه بالزائغين عن سبيله ، والناكبين عـن طريق الهدى المنكرين لقوله تعالى : " ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم " الظانين بالله ظن السوء المعتقدين أن أمور الربوبية تستولى على كنهها القوى البشرية المغرورين بعقولهم زاعمين أن فيها مندوحة عن تقليد الرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ واتباعهم ـ رضوان الله عليهم ـ فلا جرم اضطروا إلى الإعتراف بأن لباب معقولاتهم رجع إلى مالوحكى فى منام لتعجب منه (١).

وكان الأجدر بأصحاب هذه النظرية أن يقولوا : (ان المبدأ الأول عالم مريد قادر يفعل مايشاء ويحكم ما يريد ، يخلق المختلفات والمتجانسات كما يريد وعلى مايريد ، فانه لا مانع من ذلك واستحالة هذا لاتعرف بضرورة العقل ولانظره وقد وردت به الأنبياء المؤيدون بالمعجزات فيجب قبوله (٢).

وبهذا يتبين خلل مازعمه الفلاسفة فيما يدعون (نظرية الفيض) ويتبين أن الحق ليس معهم وأن هذه النظرية نظرية ركيكة يشوبها الغموض ولا يستسيغها العقل السليم وأنها قاصرة عن إثبات شيىء من عقل ، أو نفس ، أو ملك أو فلك لأنها لم تفصح عن شيىء محدد فى هذا السبيل ، وإنما هى عموميات وتخيلات وأوهام وتلفيقات ليس فيها فكرة ناجعة ولا حجة ساطعة . وإذا

---

(١) تهافت الفلاسفة / ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) المصدر السابق - ١٥١ .

كان الإمام الغزالى قد نقضها ، ورفضها ، فإن غيره من المفكرين المسلمين قد أوضح زيفها وقصورها . يقول ابن القيم عن الفلاسفة (وأما الإيمان بالملائكة فهم - أى الفلاسفة - لايعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم ، وانما الملائكة عندهم مايتصوره النبى بزعمهم فى نفسه من أشكال نورانية هى العقول عندهم وهى مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه ولا فوق السماوات ولا تحتها ولاهى أشخاص تتحرك ولا تصعد ولا تنزل ولا تدبر شيئا ولا تتكلم ولا تكتب أعمال العبد ولا لها إحساس ولا حركة ، البتة ولا تنتقل من مكان إلى مكان ولا تصف عند ربها ولا تصلى ولا لها تصرف فى أمر العالم البتة ، فلا تقبض نفس العبد ولا تكتب رزقه وأجله وعمله ولاهى عن اليمين وعن الشمال قعيد ، كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام فقال : الملائكة هى القوى البرة الفاضلة فى العبد والشياطين هى القوى الشريرة الرديئة - هذا إذا تقربوا إلى الاسلام وإلى الرسل . [1].

وإذا تقرر هذا فانه يتقرر أيضا ان نظرية الفيض التى زعمها الفلاسفة لا تصلح دليلا على وجود الملائكة ولا على كيفية وجودهم وذلك للأسباب التالية :

أولا : إن هذه النظرية أساسها العقل البشرى كما هو عند الفلاسفة والعقول مختلفة فما أمكن أن يثبته عقل فإنه يمكن أن ينفيه آخر . وقد ثبت ذلك بما تقدم .

ثانيا : إن إخبار العقل وأحكامه إنما هى مجرد اجتهادات لا يؤيدها خبر يقينى أو دليل معصوم ، فلا يؤمن فيها جانب الخطأ .

---

(١) اغاثة اللهفان - ٢ / ٦١٨ .

ثالثا : إن بدء الخلق سابق على وجود الخلائق بالفعل فكيف تتوصل العقول إلى يقين ثابت فى شأنه بدون وحى . إن اجتهاد العقل مسلم فى إثبات وجود الله تعالى لئلا يلزم الدور ، أما عدا ذلك من الغيبيات فلا حجة فيه إلا بوحى .

رابعا : قولهم : إن الواحد لايصدر عنه الا واحد قول مردود لأنه مادام صدور الواحد ممكنا فصدور الكثرة أيضا ممكنه. وقدرته تعالى صالحة لكليهما . لأنها شاملة لجميع الممكنات . والعالم ممكن . فصدور بعضه ، وصدور كله فى قدرة الله سواء لأن المقتضى للقدرة ذات الله تعالى . والمصحح للمقدورية هو الامكان وهو متحقق فى جميع الممكنات . ونسبة الذات إلى جميعها متساوية وقد ثبتت قدرته على بعض الممكنات باتفاق العقلاء . فيثبت عمومها لجميع الممكنات لأنه لا فرق بين ممكن وممكن لأنه لا تقتضى ذاته وجودا ولا عدما لذاته .

خامسا : القول بصدور العقل الأول أولا دون غيره مردود، لأنه مساوٍ لغيره فى الامكان ، وتخصيصه بالصدور أولا دون غيره ترجيح بدون مرجح وهو باطل . وإذا ثبت هذا ثبت ان نظرية الفيض لا تصلح دليلا علي وجود الملائكة ولا على كيفية وجودهم لأنها أمور غيبية لا مجال للعقل فى إثباتها ، ولا دليل على ذلك إلا السمع وهو ماينبغى الإقرار به .

واذا كان بعض الفلاسفة يزعمون أن الملائكة هى القوى الخيرة الفاضلة فى العبد ـ كما ذكره ابن القيم ـ فان الشيخ محمد عبده قد ذهب إلى مثل ذلك فقال : " ان الملائكة خلق غيبى لانعرف حقيقته وانما نؤمن به باخبار الله تعالى الذى نقف عند ولا نزيد عنه وتقدم أن القرآن ناطق بأن الملائكة أصناف لكل

صنف وظيفة وعمل ونقول الآن ان الهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء فى لسان صاحب الوحى صلى الله عليه وسلم . وقد أسند إلى هذه العوالم الغيبية وخواطر الخير التى تسمى الهاماً وخواطر الشر التى تسمى وسوسة كل منهما محله الروح فالملائكة والشياطين إذا أرواح تتصل بارواح الناس فلا يصح أن تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا لأن هذه لواتصلت بأرواحنا فإنما تتصل بها من طريق أجسامنا ونحن لانحس بشىء يتصل بأبداننا لاعند الوسوسة . ولا عند الشعور بدواعى الخير من النفس فإذاً هى من غير عالم الأبدان قطعا .

ويصرح الشيخ محمد عبده باطلاق لفظ القوى على الملائكة أيضا ويشير إلى المتشددين فى الدين قائلا : لا أعرف مالذى فهموه من لفظ روح أو ملك وماالذى يتخيلونه من مفهوم لفظ قوة اليس الروح فى الادمى مثلا هذا الذى يظهر لنا فى افراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان والارادة والعمل ، وإذا سلبوه سلبوا مايسمى بالحياة ؟ أو ليست القوة هى ماتصدر عنه الآثار فيمن وهبت له فإذا سمى الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوة لخفاء حقيقتها روحا فهل يضر ذلك بالدين . أو ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟ (١) .

وما قاله الشيخ محمد عبده من أنه لا يصح أن تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا مردود فالملائكة قد تمثلوا بالصور الجثمانية بالفعل وقد ورد ذلك فى حديث صحيح عن عمر بن الخطاب رضى الله وفى نهايته قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر : " أتدرى من السائل ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم . قال : "

---

(١) تفسير المنار جزء ١/ ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٧٠ - الطبعة الثانية .

فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " وكان فى صورة جثمانية كما نص عليه الحديث : " بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يامحمد أخبرنى عن الإسلام " الحديث . وقد تكررت الصورة الجثمانية لجبريل عليه السلام فى غير هذا الحديث :

عن ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " أمنى جبريل عليه السلام عند البيت مرتين " (١).

وعن جابر بن عبد الله " أن النبى صلى الله عليه واله وسلم جاءه جبريل عليه السلام فقال له : قم فصله فصلى الظهر حين زالت الشمس ثم جاءه العصر فقال : قم فصله فصلى العصر حين صار ظل كل شيىء مثله ثم جاءه المغرب فقال : قم فصله فصلى المغرب حين وجبت الشمس ثم جاءه العشاء فقال : قم فصله فصلى العشاء حين غاب الشفق . ثم جاءه الفجر فقال : قم فصله فصلى الفجر حين برق الفجر أو قال : سطع الفجر " (٢) الخ قال البخارى : هو أصح شيىء فى المواقيت - قال ابن عبد البر: وكانت امامة جبريل بالنبى صلى الله عليه واله وسلم فى اليوم الذى يلى ليلة الاسراء " (٣) فقد ثبت بهذا أن جبريل عليه السلام صلى إماما بالنبى صلى الله عليه وسلم وهى صلاة ذات قيام وركوع وسجود وكل ذلك من صفات الأجسام .

---

(١) رواه الترمزى بسند حسن .

(٢) رواه أحمد والنسائى والترمزى بنحوه .

(٣) نيل الأوتار ٣٢٦/١ .

كما ورد أن جبريل عليه السلام أتى إلى موسى عليه السلام حين حل ميعاد الطور راكبا حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامرى فقال : ان لهذا شانا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما سأله موسى عن قصته قال : قبضت من أثر فرس المرسل إليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل (١).

ومن أخبار غزوة بدر - عن ابن عباس رضى الله عنه قال: بينما رجل من المسلمين يشتد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول : اقدم حيزوم فنظر إلى المشرك فخر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاحضر ذلك اجمع فجاء الانصارى فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين (٢).

ويبدو أن ظهور الملائكة على خيولهم فى بدر كان واضحا وأن ذلك لم يحصل فى احد- فقد روى عن عبد الله بن عمر قال: لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون فى أنديتهم بما ظفروا ويقولون : لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر (٣).

فهذا يدل بوضوح على أن الملائكة لها أشكال جثمانية لأن ركوب الخيل إنما هو من صفات الأجسام . كما ورد أن الملائكة تصف عند ربها قال تعالى : (والصافات صفا) (٤).

---

(١) تفسير الكشاف /٢/٤٤٥/ الناشر دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(٢) رواه مسلم . (٣) تفسير الفخر الرازى : ٣/٤٥ . (٤) سورة الصافات اية ١ .

ق م سعود : هى الملائكة [1].

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف [2].

والصف من صفات الاجسام " يتراصون " - يلتصق بعضه ببعض - فالملائكة أجسام لطيفة وليست مجرد أرواح أو قوى وانما هى اجسام لطيفة ذات قوى هائلة (فقد كان من قوة جبريل عليه السلام أنه إقتلع مدائن قوم لوط عليه السلام من الأرض السفلى ، فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها وكان من شدة أيضا أنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقبة من الأرض المقدسة ، فنفخه بجناحه نفخة ألقاه بأقصى جبل فى الهند ، وكان من شدته صيحته بثمود فى عددهم وكثرتهم فأصبحوا جاثمين خامدين ، وكان من شدته هبوطه من السماء على الأنبياء وصعوده إليها فى أسرع من الطرف [3].

رأى المعتزلة فى وجود الملائكة :

ذهب المعتزلة إلى أن وجود الملائكة متقدم على وجود السماوات والأرض وعلى وجود الماء والعرش واستدلوا على

---

(١) تفسير ابن كثير /٤/٢ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) تفسير القرطبى / ٦٢٥٦ .

بقوله تعالى : " وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء " (١).

وقالوا فى بيان ذلك :

" إن فى هذه الآية دلالة على وجود الملائكة قبل خلقها - أى العرش والماء - لنه لايجوز أن يخلق ذلك ولا أحد ينتفع بالعرش والماء لأنه تعالى لما خلقهما فإما أن يكون قد خلقهما لمنفعة أولا لمنفعة والثانى عبث فبقى الأول وهو أنه خلقهما لمنفعة وتلك المنفعة إما أن تكون عائدة إلى الله وهو محال ، لكونه تعالى متعاليا عن النفع والضرر ، أو إلى الغير فوجب أن يكون ذلك الغير حيا لأن غير الحى لا ينتفع وكل من قال بذلك قال : ذلك الحى كان من جنس الملائكة فدل ذلك على وجودهم قبل وجود العرش والماء (٢).

وحيث أن العرش والماء أسبق من غيرهما فى الوجود وأن وجود الملائكة أسبق من وجودهما فان وجود الملائكة يكون اسبق من وجود غيرهم من المخلوقات كالسماوات والأرض واستدلوا على ذلك بقوله تعالى :

ان ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش (٣).

---

(١) سورة هود من الايه ٧ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ٣٩/٥ .

(٣) سورة يونس اية ٣ .

قال القاضى " لا يبعد أن يكون خلق السماوات والأرض فى هذه المدة المخصوصة أدخل فى الاعتبار فى حق بعض المكلفين فإن قيل : فمن المعتبر وما وجه الاعتبار ؟ اجيب : أما المعتبر فانه لابد من مكلف أو غير مكلف من الحيوان خلقه الله تعالى قبل خلق السماوات والأرضين أو معهما وإلا لكان خلقهما عبثا فان قيل : فهلا جاز أن يخلقهما لاجل حيوان : يخلقه من بعد - قلنا : انه تعالى لا يخاف الفوت فلا يجوز أن يقدم خلق مالا ينتفع به أحد لاجل حيوان سيحدث بعد ذلك وانما يصح منا ذلك فى مقدمات الأمور لانا نخشى الفوت ونخاف العجز والقصور . واذا ثبت هذا فقد صح ماروى فى الخبر ان خلق الملائكة كان سابقا على خلق السماوات والأرض - ولعله يريد بالخبر ما روى عن عمرأن بن حصين أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اقبلوا البشرى يابنى تميم " قالوا قد بشرتنا فاعطنا قال : " اقبلوا البشرى يا أهل اليمن " قالوا قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال : " كان الله قبل كل شيىء وكان عرشه على الماء وكتب فى اللوح المحفوظ ذكر كل شيىء " " قال فأتانى آت فقال : ياعمران لحقت ناقتك من عقالها قال : فخرجت فى أثرها فلا أدرى ما كان بعدى [1]. - وفى رواية للبخارى : " ثم أتانى رجل فقال : ياعمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا هى يقطع دونها السراب وأيم الله لوددت انها قد ذهبت ولم اقم [2].

فان قيل : أولئك الملائكة لابد لهم من مكان ، فقبل خلق السماوات والأرض لا مكان فكيف يمكن وجودهم بلا مكان ؟ قلنا:

---

(1) رواه الشيخان .

(2) رواه البخارى .

الذى يقدر على تسكين العرش والسماوات والأرض فى أمكنتها كيف يعجز عن تسكين أولئك الملائكة فى أحيازها بقدرته وحكمته، وأما وجه الاعتبار فى ذلك فهو أنه لما حصل هناك معتبر لم يمتنع أن يكون اعتباره بما يشاهده حالا بعد حال أقوى - والدليل عليه أن ما يحدث على هذا الوجه فإنه يدل على أنه صادر من فاعل حكيم واما المخلوق دفعة واحدة فإنه لا يدل على ذلك [1] .

والواقع أن القول فى ترتيب وجود الملائكة لم يقم على تحديده دليل قطعى فلا ينبغى اثباته فى غيبة هذا الدليل لأن مسائل العقيدة لابد فيها من القول الثابت الذى تستريح إليه النفوس وتطمئن إليه القلوب وتسلم به العقول .

ومن هنا يدرك الباحث أنه لامجال للقطع فى هذه المسألة وأن القول بخلق الملائكة مع السماوات او قبل خلقها اجتهاد دونه عقول البشر

لأن حقيقتة أعلى من مصاعد أفهامهم ومرامى أوهامهم فينبغى ان يقف العقل عند حده وأن يفوض العبد أمره إلى ربه . قائلا : سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

خلقتهم ومسكنهم :

والملائكة خلق من خلق الله تعالى والله سبحانه يبدع فى خلقه كيف يشاء وقد شاء سبحانه ان يتقدم خلق الملائكة على خلق الانسان كما يستفاد من قوله تعالى :

---

(١) تفسير الفخر الرازى - ٤/ ٥٣١ .

(٢) الاية - ٣٠ سورة البقرة .

" وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون . [١] وكما أنه سبحانه خلق الانسان من طين والجان من نار فانه سبحانه خلق الملائكة من نور . عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خلقت الملائكة من نور والجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم [٢] . والملائكة مسكنهم السماء قال تعالى: " وكم ملك فى السماوات لاتغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن ياذن الله لمن يشاء ويرضى [٣] وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : مايمنعك ان تزورنا ؟ قال : فنزلت : "وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما لفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا [٤] و [٥]

تفاوتهم فى الخلقة :

والملائكة يتفاوتون فى خلقتهم كما يتفاوتون فى قدراتهم بدليل قوله تعالى : " الحمد لله فاطر السماوات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شيىء قدير [٦] وعن ابن مسعود رضى الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح [٧] كما أنمهم يتفاوتون فى منزلهتم بدليل قوله تعالى:

سورة البقرة – الآية ٣٠ .

(٢) رواه مسلم .

سورة النجم – الآية ٦ .

(٤) سورة مريم – ٦٤ .

رواه احمد والبخارى .

(٦) سورة فاطر .

(٧) رواة مسلم .

" وما منا الا له مقام معلوم . وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون [١] جاء فى التفسير : " وما من ملك الا له موضع مخصوص فى السماوات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه [٢].

كثرتهم :

وعدد الملائكة كثير لا يحصى عددهم الا الله تعالى بدليل قوله تعالى : " وما يعلم جنود ربك الا هو [٣] قوله صلى الله عليه وسلم : " اطلت السماء - واطيطها - أنينها من ثقل ما عليها - (لسان العرب ٩٢/١) .

وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد [٤] وروى " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرج به راى ملائكة فى موضع بمنزلة سوق بعضهم يمشى تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم إلى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادرى الا انى اراهم منذ خلقت ولا ارى واحد منهم قد رايته قبل ذلك [٥] اى أن رؤيته لأحادهم لم تتكرر-

علاقتهم بالله تعالى :

وأما علاقتهم بالله تعالى فهى علاقة العبودية لجلاله والامتثال لاوامره والخضوع لعظمته سبحانه وتعالى فهم عباد مكرمون كما وصفهم الله تعالى بقوله : " بل عباد مكرمون لا

---

(١) سورة الصافات ١٦٥-١٦٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٠/٣ .

(٣) سورة المدثر ٣١ .

(٤) رواه الترمزى بيند حسن .

(٥) تفسير الفخر الرازى ٢٤٩/١ .

يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون [١] فهم فى طاعة الله تعالى يخشونه ولا يخشون أحدا سواه ولا يقدرون الا على ما اقدرهم الله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنهم يفعلون برأيهم أو يتصرفون بارادتهم او يقدرون بقدرهم كما لا يجوز لاحد ان يقوم بعبادتهم او ان يطمع من دون الله سبحانه فى معونتهم لقوله تعالى: " ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون [٢]

علاقتهم بمخلوقات الله تعالى :

واذا كانت علاقة الملائكة بربهم : طاعة وعبادة وخضوع وامتثال فان صلتهم بعباده سبحانه تتمثل فى " تنفيذ ارادته وتدبير شئون الكون ورعايته بكل مافيه من مخلوقات وحركة ونشاط ومافيه من حياة وجماد وما فيه من قوانين ونواميس وانفاذ قدره وفق قضائه فى هذه المخلوقات كلها وتنفيذ إرادته سبحانه فى مراقبة وتسجيل كل مايحدث فى الكون من حركات إرادية وغير إرادية فهم الموكلون بالسماوات والأرض وكل حركة فى العالم تدخل فى اختصاصهم [٣] ومن الأعمال التى يقومون بها مايأتى :

حضور مجالس القرآن :

فقد ورد أنهم يحضرون مجالس القرآن ويستمعون للقارئين: عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان اسيد بن حضير بينما هو فى ليلة يقرأ فى مربده إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى -

---

(١) سورة الانبياء ٢٦ - ٢٨ .

(٢) سورة آل عمران / ٨٠ .

(٣) تفسير القرطبى للفرقان ٤٩٨/٢ ط دار الحديث بالقاهرة .

اى وثبت ـ فقرأ ثم جالت ايضا . قال أسيد : فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسى فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ماأراها. قال : فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يارسول الله بينما انا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربدى إذ جالت فرسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن حضير قال فقرأت ثم جالت ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ ابن حضير وفى نهاية الحديث قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تلك الملائكة كانت تستمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ماتستتر منهم [١].

الدعاء للمؤمنين :

وقد ورد أن الملائكة رضوان الله عليهم يدعون للمؤمنين قال تعالى : " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم [٢]

حضور مجالس الذكر :

كما ورد أن الملائكة تحضر مجالس الذكر فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لله ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم ألى السماء الدنيا [٣]

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) الآيتين ٧و٨ سورة غافر .

الاقبال على طلبة العلم :

وقد ورد أن الملائكة تقبل على طالب العلم وتتواضع له وترضى عن طلبه عن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع [١]. تثبيت المؤمنين عند الجهاد : كما ورد تثبيتهم للمؤمنين فى الجهاد قال تعالى : " إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين امنوا [٢]

كثرتهم :

أما أصناف الملائكة فقد بينها الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم فمنهم حملة العرش قال تعالى : " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " [٣]ومنهم الحافون بالعرش قال تعالى : " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم [٤] ومنهم ملائكة الجنة . قال تعالى : " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " [٥]ومنهم ملائكة النار قال تعالى : " عليها تسعة عشر " [٦]وقال تعالى : " وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ومنهم ملائكة حفظة قال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة [٨]ومنهم كتبة الاعمال

---

(١) ابو داود والترمذى .

(٢) من الاية ١٢/ الانفال .

(٣) الاية ١٧ .

(٤) الزمر ٧٥ .

(٥) الرعد ٢٣/ ٢٤ .

(٦) الاية ٣٠ .

(٧) المدثر اية ٣١ .

(٨) الانعام اية ٦١ .

قال تعالى : " كراما كاتبين " [١] وعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للملائكة : اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها واحدة فقال رجل يأبا محمد الملكان يعلمان الغيب ؟ قال لا يعلمان الغيب ولكن اذا هم العبد بحسنة فاح منه رائحة المسك فيعلمان انه قد هم بالحسنة واذا هم بالسيئة فاح منه رائحة النتن فيعلمان انه قد هم بالسيئة [٢]

تفاضلهم :

ورد ان الملائكة يختلفون فى الدرجة والفضيلة وان اكبر الملائكة " جبريل " عليه السلام ومن اسباب هذه الافضلية ان الله تعالى وصفه بعدة صفات منها :

أنه صاحب الوحى الى الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى : "نزل به الروح الامين على قلبك [٣] أن الله سبحانه قدمه فى الذكر على غيره من الملائكة فى قوله تعالى : " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ـ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين " [٤]ان الله سبحانه جعله ثانى نفسه فى قوله تعالى : " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير [٥] انه سبحانه وتعالى سماه روح القدس فقال تعالى : " اذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس[٦]انه تعالى مدحه بصفات ستة

---

(١) الانفطار ١١ . (٢) اخرجه الدينورى كتاب غالية المواعظ ٦٤ .

(٣) الشعراء ٩٣، ٩٤ . (٤) البقرة ٩٧، ٩٨ (٥) التحريم ٤ . (٦) المائدة ١٠٨

في قوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين[١] قال الامام الرازي . فرسالته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الانبياء فجميع الانبياء والرسل امته ، وكرمه على ربه أنه جعله واسطة بينه وبين اشرف عباده وهم الانبياء وقوته انه رفع مدائن قوم لوط الى السماء وقلبها ، ومكانته عند الله تعالى انه جعله ثانى نفسه فى قوله " فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين " وكونه مطاعا انه امام الملائكة ومقتداهم واما كونه امينا فهو قوله : نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين [٢] ومن اكابر الملائكة " ميكائيل " الموكل بالارزاق واسرافيل الموكل بالنفخ فى الصور. قال تعالى: "ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون [٣]ومنهم ملك الموت قال تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم[٤]ومنهم حملة العرش قال تعالى : "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية [٥]و[٦]واخرج البهيقى عن المطلب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قلت لجبريل مالى لاأرى اسرافيل يضحك ولم يأتنى احد من الملائكة الا رأيته يضحك قال جبريل ما رأينا ذلك الملك ضاحكا منذ خلقت النار . وفى رواية اذا سبح اسرافيل قطع على كل ملك فى السماء صلاته استماعا له وليس احد من خلق الله أحسن صوتا منه وهو صاحب الصور . وعن ابن عباس قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشره بذلك فإذن له فجاء ابراهيم فبشره فقال : الحمد لله

---

(١) التكوير ١٩ ـ ٢١

(٢) آيتين ٩٣ و ٩٤ الشعراء

(٣) ٦٨ الزمر

(٤) اية - ١١ السجدة .

(٥) ١٧ الحاقة

(٦) انظر تفسير الفخر الرازى ١/ ٢٤٩و ٢٥٠ .

ثم قال : ياملك الموت أرنى كيف تقبض أنفاس الكفار ؟ قال : يابراهيم لاتطيق ذلك قال : بلى قال: فأعرض ثم نظر وإذا برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة فى جسده إلا فى صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فأغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت إلى الصورة الأولى فقال : ياملك الموت لولم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه فأرنى كيف تقبض انفاس المؤمنين ؟ قال : اعرض فاعرض ثم التفت فاذا برجل شاب احسن الناس وجها واطيب ريحا فى ثياب بيض فقال : ياملك الموت لولم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة الا صورتك لكان يكفيه . وروى ان ابراهيم سأل عزرائيل عليهما السلام ــ إذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض واتفق الزمان كيف تصنع ؟ قال أدعو الارواح بإذن الله تعالى فتكون بين اصبعى هاتين " وفى رواية : وجعل له اعوان يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم " . وفى رواية اخرى " وكل خطوة منه من المشرق الى المغرب [1].

وعن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا قبر الميت اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول : هو عبد الله ورسوله فيقولان قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له فى قبره سبعون زراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول :إرجع إلى أهلى فاخبرهم فيقولان : نم نومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه . فإن كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثلهم

---

(١) غالية المواعظ – ٦٣ .

لاأدرى . فيقولون : قد علمنا أنك تقول ذلك ، يقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه (١).

المفاضلة بين الملائكة وبين البشر :

لاشك فى أن الملائكة أهل فضل لأن الله سبحانه اصطفاهم لعبادته كما اصطفى الرسل من البشر لرسالته كما أنه سبحانه جعلهم رسلا إما إلى بعضهم وإما إلى البشر الذين اصطفاهم الله رسلا الى اقوامهم وهذا امر لاخلاف فيه بين العلماء وانما الخلاف فى التفاضل بينهم وبين البشر فذهب جمهور اهل السنة الى ان الانبياء افضل من الملائكة وهو رأى الشيعة واكثر اهل الملل . وذهبت المعتزلة والحليمى والقاضى من أهل السنة إلى أن الملائكة أفضل وعليه الفلاسفة . قال الامام سعد الدين التفتازانى : "وصرح بعض اصحابنا بان عوام البشر من المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام البشر اى غير الانبياء . واستدل بادله نقلية وعقلية .

أدلـــة الرأى الاول

اولا : ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم والحكيم لا يامر بسجود الافضل للادنى . واباء ابليس واستكباره والتعليل بانه خير من ادم لكونه من نار وادم من طين يدل على ان المامور به كان سجود تكرمة وتعظيم لا سجود تحية وزيارة ولا سجود الاعلى للادنى اعظاما له ورفعا لمنزلته وهضما لنفوس الساجدين.

ثانيا : إن آدم أنبأهم بالأسماء وبما علمه الله من الخصائص والمعلم افضل من المتعلم وسوق الآية يدل على أن الغرض إظهار ما خفى عليهم من أفضلية آدم ودفع ما توهموا فيه من النقصان . ولذا قال الله تعالى : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السماوات والارض (١).

ثالثا : قوله تعالى : " ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين (٢).فيكون ادم ونوح وجميع الانبياء مصطفين على العالمين الذين منهم الملائكة إذ لا مخصص للملائكة عن العالمين ولاجهة لتفسيره بالكثير من المخلوقات .

رابعا : إن للبشرشواغل عن الطاعات العلمية والعملية كالشهوة والغضب وسائر الحاجات الشاغلة وتحصيل الكمالات بالمجاهدة والمعاناة أشق فهو أبلغ فى استحقاق الثواب ولا معنى للأفضلية سوى زيادة استحقاق الثواب (٣) .

مناقشة الأدلة السابقة : ويمكن مناقشة القول بأن آدم مسجود له والمسجود افضل من الساجد بان السجود فى الحقيقة انما هو لله تعالى لان السجود لغير الله تعالى كفر فلا يجوز الأمر به وإنما كان السجود لله تعالى وكان آدم قبلة فقط فلا يكون أفضل من الملائكة إذ لو كانت القبلة أفضل من مستقبليها لكانت الكعبة افضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مالم يقل به مسلم عاقل قال الامام الرازى : ومن الناس من طعن فى هذا القول من وجهين :

---

(١) البقرة اية ٣٣ .

(٢) ال عمران اية ٣٣ .

(٣) شرح المقاصد ٥/٦٥ و٦٦ بتصرف يسير .

الاول : انه لا يقال : صليت للقبلة يقال صليت الى القبلة فلو كان عم عليه السلام قبلة لذلك السجود لوجب ان يقال : اسجدوا الى ادم فلما لم يرد الامر هكذا بل قيل : اسجدوا لآدم علمنا ان ادم عليه السلام لم يكن قبلة .

الوجه الثانى : ان ابليس قال : ارأيتك هذا الذى كرمت علىَّ اى أن كونه مسجودا له يدل على أنه أعظم حالا من الساجد ولو كان قبلة لما حصلت هذه الدرجة بدليل أن محمدا عليه الصلاة والسلام كان يصلى إلى الكعبة ولم يلزم أن تكون الكعبة أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم .

والجواب عن الاول انه كما يجوز ان يقال صليت الى القبلة يجوز ان يقال صليت للقبلة والدليل عليه القران والشعر اما القران فقوله تعالى : " اقم الصلاة لدلوك الشمس " والصلاة لله لا للدلوك فاذا جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال صليت للقبلة مع ان الصلاة تكون لله تعالى لا للقبلة واما الشعر فقول حسان :

ما كنت أعرف أن الأمر منصرف عن هاشم

ثم منها عن أبى حسن

أليس أول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن

فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود . والجواب عن الثانى أن ابليس شكا تكريمه وذلك التكريم لا نسلم انه حصل بمجرد تلك المسجودية بل لعله حصل بذلك مع أمور أخرى أو أن سجودهم لآدم كان تعظيما وتحية له كالسلام عليه كما يحيى المسلمون بعضهم قال قتادة : كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض وكما فى قصة يوسف عليه السلام " ورفع ابوي

على العرش وخروا له سجدا [١] أما السجود على سبيل العبادة فإنه لا يجوز إلا لله وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يتعبد الله الملائكة بذلك إظهارا لرفعته وكرامته [٢].

اما القول بان ادم افضل من الملائكة لانه علمهم الاسماء والمعلم افضل من المتعلم فلقائل ان يقول فى الرد عليه (هل المراد بالفضل كثرة العلم او القربة الى الله تعالى ؟ فإن أردتم كمال المعلم فغير مسلم لأن علوم الملائكة فطرية وعلوم البشر كسبية نظرية وإن أردتم به القربة فالملائكة أقرب لأنهم غير محتاجين إلى وسائط بينهم وبين خالقهم والأنبياء محتاجون إلى وساطتهم [٣].

أما القول بان الله خص ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين الذين منهم الملائكة فوجب أن يكون آدم وأولاده من الانبياء افضل من الملائكة لكونهم من العالمين . فيمكن أن يقال فيه (إننا ان حملنا هذه الايه على تفضيل المذكورين فيها على كل العالمين أدى إلى التناقض لأن الجمع الكثير اذا وصفوا بان كل واحد منهم أفضل من كل العالمين لزم كون كل واحد منهم افضل من الاخر وذلك محال ولو حملناه على كونه افضل عالمى زمانه او عالمى جنسه لم يلزم التناقض فوجب حمله على هذا المعنى دفعا للتناقض وايضا قال تعالى : فى صفة بنى اسرائيل " وأنى فضلتكم على العالمين " [٤] ولا يلزم كونهم افضل من محمد صلى الله عليه وسلم فكان الاولى حمل العالمين على عالم زمان كل

---

(١) يوسف ١٠٠ .

(٢) تفسير الفخر الرازى ٢٨١/١و٢٨٢ بتصرف يسير .

(٣) البقرة اية ١٢٢ .

(٤) محصل افكار المتقدمين والمتاخرين للرازى

منهم فلا يشمل عالم زمان غيره ولا يشمل كل العالمين ومنهم الملائكة فلا تكون الآية نصا فى أفضلية الأنبياء عليهم (١).

ادلة الرأى الثانى :

وذهب المعتزلة والحليمى والقاضى من اهل السنة والفلاسفة الى ان الملائكة افضل من البشر واستدلوا بادلة عقلية وادلة نقلية اما الادلة العقلية فهى ستة :

اولا : " الملائكة ارواح مجردة عن علائق المادة وتوابعها فليس شيىء من أوصافها بالقوة وإنما هى بالفعل من بداية الفطر بخلاف النفوس الإنسانية فإنها كانت فى بدايتها خالية من الكمالات ثم تدرجت فيها شيئا فشيئا بعد أن إنتقلت من القوة إلى الفعل والكامل من بدايته أكمل من غيره .

ثانيا : الروحانيات متعلقة بالهياكل العلوية الشريفة المبرأة من الفساد بخلاف النفوس الإنسانية المتعلقة بالأجسام الكائنة الفاسدة والمتعلق بالشريف المبرأ من الفساد أكمل من المتعلق بالكائن الفاسد .

ثالثا : الروحيانيات مبرأة عن الشهوة والغضب والنفوس الإنسانية غير مبرأة والمبرأ من الأخلاق الذميمة أكمل من غيره .

رابعا : الروحانيات نورانية لطيفة لاحجاب فيها عن تجلى الانوار القدسية فهى أبدا مستغرقة فى مشاهدة الأنوار الربانية

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازى ٢٢/٢

والجسمانيات مركبة من المادة والصورة والمادة ظلمانية مانعة عن تلك المشاهدة المستمرة .

خامسا : الروحانيات قادرة على الأفعال الشاقة فالزلازل توجد بتحريكاتها والسحب تعرض وتزول بتصريفاتها والآثار العلوية تحدث بمعوناتها وقد نطق الكتاب الكريم بذلك فى قوله تعالى : " فالمقسمات أمرا " [١] وقوله : " فالمدبرات امرا " [٢] لا يلحقها بذلك فتور لانها ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب بخلاف الجسمانيات .

سادسا : الروحانيات أعلم لإحاطتها بما كان فى الاعصر الاول وبما سيكون فى الازمنة الاتية وبالأمور الغائبة عنا فى الحال علومهم كلية اذ لا حواس لهم ترتسم فيها المثل الجزئية فعلية لأنها مباد للحوادث فطرية حاصلة فى ابتداء فطرتهم لكونها مجردة بريئة عن القوة آمنة من الغلط والجسمانيات بخلافه وقد رد على هذه الأدلة بانها مبنية على قواعد الفلاسفة التى لا نسلمها ولا نقول بها .

واما الادلة النقلية فهى سبعة :

اولا : قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام : " ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا أقول إنى ملك [٣]. إنه كلام فى معرض التواضع ونفى التعظيم والترفع فكانه قال : لا اثبت لنفسى مرتبة فوق البشرية كالالهية والملكية بل ادعى لها ما ثبت لكثير من البشر وهو النبوة . ورد بان هذه الاية تدل على ان

---

(١) الذاريات اية ٤ .

(٢) النازعات اية ٥ .

(٣) هود اية ٣١ .

الملك اقدر واقوى لا على انه افضل اذ الافضلية هى كثرة الثواب وليست هى القدرة والقوة .

ثانيا : قوله تعالى : " مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين [1] " فقد فهم من الآية أنه زين لهما الأكل من الشجرة ليكونا فى درجة الملائكة لأنهما فى درجة أدنى منها فأقدما على الأكل طمعا فى ذلك الشرف . ورد بأنهما رأيا الملائكة فى أحسن صورة وأعظم خلقة وأكمل قوة فخيل إليهما انه الكمال الحقيقى والفضيلة والمطلوبة والحقيقة أن الفضيلة خلاف ذلك .

ثالثا : قوله تعالى : " لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون [2] فهذه الاية صريحة فى تفضيل الملائكة على المسيح كما يقال : لا انا اقدر على هذا ولا من هو فوقى وكما يقال : لا يستنكف الوزير عن خدمة فلان ولا السلطان ولا يجوز العكس . ورد بان النصارى زعموا ان المسيح ابن الله لأنه بدون أب فبين الله لهم ان الملائكة ليس لهم اب ولا ام ولم يدعوا ذلك فالمسيح اولى أن لا يدعيه وهذا ليس دليلا على الأفضلية التى نحن بصددها .

رابعا : قوله تعالى " ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته [3] القرب هنا ليس قرب مكان وانما هو قرب رتبة وشرف وإذا لم يستكبروا فغيرهم أولى أن لا يستكبر فذلك دليل أفضليتهم إذ مع التساوى لا يحسن ذلك الاستدلال ورد بان الله تعالى قال فى حق البشر : " فى مقعد صدق عند مليك مقتدر " [4]. فظهر ان العندية

---

(١) الأعراف ٢٠.

(٢) النساء اية ١٧٢ .

(٣) الانبياء اية ١٩ .

(٤) القمر اية ٥٥ .

تدل على الفضيلة لا على الافضلية واما عدم استكبارهم فانه دليل على قوتهم وقدرتهم لا على افضليتهم .

خامسا : ان الملائكة معلموا الانبياء لقوله تعالى : (علمه شديد القوى) [١] والمعلم افضل من المتعلم . ورد بانهم مبلغون والمعلم هو الله تعالى وإسناد التعليم إليهم من باب المجاز العقلى .

سادسا : إن الملائكة رسل الله إلى الأنبياء والرسول أقرب الى المرسل من المرسل اليه فتكون الملائكة افضل . ورد بان هذا لا يصلح قاعدة كلية والا فانه لو ارسل ملك واحدا من احاد الناس الى ملك اخر كان معنى هذا انه افضل من الملك المرسل إليه وهذا باطل قطعا .

سابعا : قدم ذكر الملائكة على ذكر الانبياء دائما والمفضول لا يقدم دائما على الفاضل . ورد بان التقديم فى الذكر موافق للتقدم فى الوجود والتقدم فى الايمان فجعل الوجود اللفظى مطابقا للوجود الحقيقى لوجود الملائكة قبل وجود البشر وكذلك بحسب ترتيب الايمان فيكون تقديم ذكرهم اولى [٢]. وبعد هذا البحث فى تفاضل البشر والملائكة يجد الباحث أن تفضيل أى منهما على الآخر فلسفة فكرية وان توفرت أدلة عقلية ونقلية والحقيقة أن العنصر وحده لا يسود وان العمل لا يرفع الا اذا رضيه الرب المعبود فأولى بنا أن نعلم هذه الآراء وندع الحكم لله الذى يزكى من يشاء فإنه سبحانه لا يحابى احدا ولا يتخذ صاحبة ولا بنتا ولا ولدا فلنفوض الأمر إلى الكريم فإنه سبحانه بعباده عليم .

---

(١) النجم آية ٥ .

(٢) انظر كتاب المواقف ٣/٢١٧ : ٢٢٠ .

عصمة الملائكة :

الملائكة عباد مكرمون قربهم الله تعالى وأسكنهم السماوات العلى وشرفهم بعبادته . ولكن العلماء اختلفوا فى ثبوت العصمة لهم . (اتفق الجمهور الاعظم من علماء الدين على عصمة كل الملائكة من جميع الذنوب واستدلوا على ماذهبوا اليه بادلة منها :

اولا : قوله تعالى : " لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون [1]يتناول جميع فعل المامورات وترك المنهيات لان المنهى عن الشيىء مامور بتركه .

ثانيا : قوله تعالى : (بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون) [2]. فنه صريح فى براءتهم عن المعاصى .

ثالثا : انه تعالى حكى عنهم انهك طعنوا فى البشر بالمعصية ولو كانوا من العصاة لما حسن ذلك منهم .

رابعا : انه تعالى حكى عنهم انهم " يسبحون الليل والنهار لا يفترون " [3]ومن كان كذلك امتنع صدور المعصية منه [4]ورد " بان الاستدلال بهذه الآيات يتم اذا ثبت ان جميع الملائكة مبرأون عن جميع المعاصى فى جميع الأزمنة ولايوجد دليل قاطع على هذا لانفيا ولا غثباتا بل أدلة ظرفية ظنية والظن لا يغنى فى مثل هذه المسائل التى يطلب فيها العلم واليقين [5]وذهب البعض الى نفى عصمة الملائكة واستدلوا على ما ذهبوا اليه بادلة منها :

التحريم ٦ . (٢) الأنبياء ٢٦ . (٣) الأنبياء ٢٠ .

تفسير الفخر الرازى ٢٥٢/١ بتصرف . (٥) المواقف ٢١٧ .

اولا : ان ابليس وهو من الملائكة عصى امر الله تعالى فلم يسجد لادم وهذا دليل على ان الملائكة غير معصومين اما ان ابليس من الملائكة فلان امر السجود تناوله فلما لم يمتثل عوتب على ترك السجود بقوله تعالى " مامنعك ان لا تسجد اذا امرتك"(١) ولو لم يكن الامر بالسجود موجها اليه باعتباره من الملائكة لما عوتب فى تركه كما انه استثنى من الملائكة فى قوله تعالى "فسجدوا الا ابليس فدل على انه منهم . ورد بان ابليس لم يكن من الملائكة بدليل قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن " (٢). والجن غير الملائكة لانهم من نار قال تعالى : " وخلق الجان من مارج من نار " اما الملائكة فخلقوا من نور فقد روى عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار " (٣) كما ان ابليس له ذرية قال تعالى:" افتتخذونه وذريته " (٤)والملائكة لايتناسلون لان التناسل يقتضى ذكرا وانثى والملائكة لا اناث فيهم وقد انكر الله على من وصف الملائكة بالاناث فى قوله تعالى : " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون (٥).

ثانيا : " أن قولهم فى جواب " إنى جاعل فى الأرض خليفة": " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " (٦)اغتياب للخليفة واستبعاد لفعل الله تعالى يشبه صورة الانكار بمعنى أنه لا ينبغى أن يكون واتباع للظن ورجم بالغيب فيما لا يليق واعجاب بأنفسهم وتزكية لها وهى صفات تخل

---

(١) الأعراف ٢١ . (٢) الكهف اية - ٥٠ . (٣) رواه مسلم

(٤)الكهف ٥٠ . (٤) الزخرف - ١٩. (٦) سورة البقرة ٣٠ .

بالعصمة .ورد بان الغيبة تتحقق حينما يكون غرض المغتاب اظهار منقصة الغير وهذا منتف من كلام الملائكة لأن الله لاتخفى عليه خافية . وأما قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فهو استفهام محض ، فكأنهم قالوا : هل هذا الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا ؟ أو أن الله أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون فى الارض ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه المقالة على سبيل التعجب من استخلاف الله من يعصيه أو من عصيان الله من يستخلفه أو منهما معا " (١).

واما قول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فان هذا من قبيل المدح المخرج مخرج الاخبار بالحق مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " انا سيد ولد ادم ولا فخر " وقوله : " وفضلت على الانبياء " وكقول يوسف عليه السلام : " اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم " وكقولنا نحن المسلمين : نحن خير امة أخرجت للناس . فأيضا قول الملائكة هذا يخرج هذا المخرج ولا يعد تزكية لأنفسهم فلو كان قولهم هذا من قبيل تزكيتهم لأنفسهم لكان مذموما ولو كان مذموما لأنكره ـ الله عز وجل ـ عليهم وحيث لم ينكره فهو صدق . أما المذموم من مدح النفس وتزكيتها فهو قصد الافتخار للبغى وانتقاص الغير . أما إذا كان تزكية للنفس بغية الاخبار بالحق او الحض على فعل الخير لا الفخر كانت التزكية خيرا ولاشىء فيها ومن ثم فالملائكة معصومون منزهون عن النقائص لأنهم عباد الله المكرمون (٢).

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٢٣٥ .

(٢) انظر كتاب الفصل ٤/ ٣٤، ٣٥ .

ثالثا : " قصة هاورت وماروت ملكين ببابل يعذبان لارتكابهما السحر . ورد بمنع ارتكابهما العمل بالسحر واعتقاد تأثيره بل انزل الله عليهما السحر ابتلاء للناس فمن تعلمه وعمل به فهو كافر . ومن تحنبه او تعلمه ليتوقاه ولا يغتر به فهو مؤمن وهما كانا يعظان الناس ويقولان " انما نحن فتنة " للناس وابتلا فلا تكفروا . اى لاتعتقدوا ولا تعملوا فان ذلك كفر وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبه كما يعاتب الانبياء على السهو والزلة مع غير ارتكاب منهما لكبيرة فضلا عن كفر واعتقاد سحر او عمل به . واليهود هم الذين يدعون ان الواحد من الملك قد يرتكب الكبيرة فيعاقبه الله بالمسخ " (١).

اما قصة هاروت وماروت فقد ذكرها الفخر الرازى " بأن هاروت وماروت كانا ملكين من الملائكة وأنهما لما نظرا مايصدر أهل الأرض من المعاصى أنكرا ذلك واكبراه ودعوا على أهل الأرض فأوحى الله تعالى اليهما انى لو ابتليتكما بما ابتليت به آدم من الشهوات لعصيتمانى فقال يارب لو ابتليتنا لم نفعل فجرى فأهبطهما إلى الأرض وابتلاهما بشهوات بنى ادم فمكثا الأرض وأمر الله الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل فهبطا الى الارض فجعلت الزهرة فى صورة امرأة والملك صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما الى نفسها ونصب الملك نفسه فى صورة الصنم فاقبلا الى منزلها ودعواها الى الفاحشة فأبت عليهما إلا أن يشربا الخمر فشربا لانشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسى حتى تفعلاها

---

(١) شرح المقاصد ٥/ ٦٥ .

وماهى قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لانشرك بالله ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم فارتفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انه انما اصابهما ذلك بسبب تعيير بنى ادم . (١)

وفى رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذى كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم وعرجت الى السماء فمسخها الله تعالى وصيرها هذا الكوكب المسمى بالزهرة ثم ان الله تعالى عرف ماروت وماروت قبيح مافيه وقعا ثم خيرهما بين عذاب الآخرة آجلا وبين عذاب الدنيا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين فى بئر إلى يوم القيامة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان إليه ولا يراهما أحد إلا من ذهب إلى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وقد . رد الإمام الرازى هذه القصة لأنها باطلة من وجوه أحدها : أنهم ذكروا فى القصة أن الله تعالى قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بنى آدم لعصيتمانى فقالا لو فعلت ذلك بنا يارب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله تعالى وتجهيل له وذلك من صريح الكفر .

وثانيهما : انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وذلك فاسد بل كان الأولى أن يخيرا بين التوبة وبين العذاب لان الله تعالى خير بينهما من اشرك طول عمره وبالغ فى ايذاء انبيائه .

---

(١) تفسير الفخر الرازى - ٢٥٣/١ .

وثالثها : أنهما يعلمان السحر حال كونهما معذبين ويدعوان إليه وهما معاقبان على المعصية .

ورابعها : أن المرأة الفاجرة كيف يعقل أنها لما فجرت صعدت إلى السماء وجعلها الله تعالى كوكبامضيئا وعظم قدره بحيث أقسم به حيث قال " فلا اقسم بالخنس والجوار الكنس " فهذه القصة قصة ركيكة يشهد كل عقل سليم بركاكتها [١]. والرأى الذى يميل إليه الباحث هو إثبات العصمة للملائكة لأن الله تعالى كرمهم وقربهم واصطفاهم لحمل رسالته مما يؤكد عصمتهم من الذنوب ، وترفعهم عن الدنايا ، فهم يمثلون الهداية فى أسمى صورها ، كما أن الشياطين رموز الغواية فى أدنى مظاهرها ، وأما البشر فإنهم وسط بين هذين يصعدون احيانا فتكون الهداية فى أسمى درجاتها ويهبطون أحيانا أخرى الى هاوية الرذيلة فى معاصيها واثامها فيسلكون مسالك الشياطين فجورا وشرورا ويكونون كما وصفهم الله تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا [١]. والانسان حينما يكون فى قمة النقاء والطهر يكون شبيها بالملائكة كما ورد فى قصة يوسف عليه السلام " وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم " [٢] ولان اهل العرف يصفون القبيح بانه شيطان والحسن بأنه ملك اى لم ير مثله

---

(١) سورة الأنعام ١٢٢ .

(٢) سورة يوسف ٣٠ ، ٣١ .

لأن الناس لا يرون الملائكة أو أنه ملك لطهارة أخلاقه وبعده عن التهم قال الشاعر يمدح احد الملوك :

فلست لإنسى ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب [١]

فالملائكة معصومون مطهرون عن بواعث الشهوة وجوانب الغضب ونوازع الوهم والخيال طعامهم توحيد الله تعالى وشرابهم الثناء عليه ورفعتهم فى الخضوع لديه فكيف لا يكونون موصوفين بالعصمة مشمولين برعاية الله فى كل مهمة .

حكم الايمان بالملائكة :

والايمان بالملائكة واجب على كل مسلم فلا يتحقق الاسلام بدون الايمان بالملائكة اجمالا فيما ورد اجمالا بان من الملائكة معقبات حفظة وكتبة وحملة للعرش وموكلون بقبض الأرواح وملائكة الجنة وخزنة النار وغيرهم ممن ورد ذكرهم اجمالا . ويجب الايمان تفصيلا بمن ورد ذكرهم تفصيلا كجبريل وميكائيل واسرافيل ومالك وكل من ورد ذكرهم فى الكتاب والسنة لقوله تعالى " امن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " [٢]. ومن لم يؤمن بالملائكة فلا إيمان له قال تعالى : "ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا [٣] ومعناه ان من قصد الايمان ولم يؤمن بالملائكة واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا عن مقصده

---

(١) انظر تفسير القرطبى - ٣٤١٢ .

(٢) سورة البقرة اية ٢٨٥ .

(٣) سورة النساء اية ١٣٦ .

فلا يكاد يعود إليه لأن الكفر باحدهما لايتحقق معه الايمان أصلا [1]

ونقل عن شعب الايمان للبهيقى ان الايمان بالملائكة ينتظم فى معان احدها التصديق بوجودهم ، والثانى انزالهم منازلهم واثبات انهم عباد الله وخلقه كالانس والجن ، مأمورون مكلفون لايقدرون الا على ما اقدرهم الله تعالى عليه والموت عليهم جائز ولكن الله تعالى جعل لهم امدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغون ولا يوصفون بسيىء يؤدى وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى ولا يدعون آلهة كما دعتهم الاوائل . والثالث الاعتراف بان منهم رسلا يرسلهم الله الى من يشاء من البشر وقد يجوز ان يرسل بعضهم الى بعض ويتبع ذلك الاعتراف بان منهم حملة العرش ومنهم الصافون ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم كتبة الاعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب وقد ورد القرآن الكريم والسنة المطهرة بذكر ذلك كله [2]. وقد ذكر الامام ابو الحسن الهروى مايتعلق بالايمان بالملائكة فى الجواهر المضيئة فقال :

القول بالملائك الكرام فريضة لصحة الاسلام

وهم عباد الخالق القهار قد خلقوا من خالص الانوار

حياتهم بالذكر والتسبيح ومالهم فى الذكر من تبريح

قاموا صفوفا للعزيز الماجد يدعونه على مقام واحد

(١) انظر تفسير أبو السعود حاشية تفسير الفخر الرازى ٢٩٦/٣ .

(٢) كتاب غالية المواعظ ٦١ بتصرف يسير.

قد طهروا عن شهوة العصيان ومن شرور النفس والشيطان

ومالهم نسل ولا ولادة ومالهم شغل سوى العبادة

فمنهم كتاب اعمال الورى ومنهم حفاظ سكان الثرى

ومنهم موكل بالرزق يوصل او يزوى بأمر الحق

فوصف حال القوم بالتفصيل فى صحف الاثار والتنزيل

ونفيهم بالجحد والانكار كفر صريح موجب للنار

ومن جرى لسانه بالطعن والنقص فيهم فهو اهل اللعن (١).

أثر الايمان بالملائكة فى حياة المسلم :

وللايمان بالملائكة اثار نافعة طيبة فى حياة المسلم منها :

أولا : بعث الطمأنينة فى نفسه ومحو وساوس الوحشة فى حال الانفراد والوحدة وذلك من خلال الاحساس بوجود ملائكة حفظة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ورد فى تفسير قوله تعالى "له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله " ان للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظون من الأسواء والحادثات كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الاعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه واحد ورائه وآخر من قدامه فهو بين اربعة املاك بالنهار واربعة اخ

(١) المصدر السابق .

بالليل بدلا حافظان وكاتبان كما جاء فى الصحيح " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : " اتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون " وقال ابو مجلز : جاء رجل من مراد الى على رضى الله عنه وهو يصلى فقال : احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك فقال : ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه . ان الأجل جنة حصينة (١).

ثانيا : تقوية ملكة مراقبة الله تعالى مما يعينه على فعل الخيرات ويحول بينه وبين المنكرات لانه يدرك ان معه من لا يفارقه وانه يسجل عليه كل اعماله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يارسول الله قال : واياى ولكن الله اعاننى عليه فلا يامرنى الا بخير (٢).

ثالثا : زيادة حرصه على حضور المجالس التى تحف بها الملائكة كمجالس الذكر وتلاوة القران ليفوز باستغفار الملائكة ودعائهم له ويتحقق له السلام النفسى والسمو الروحى والرضوان الالهى . فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ان لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٠٣، ٥٠٤ .

(٢) اخرجه الإمام مسلم .

بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا . فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال : فيسالهم الله عز وجل وهو اعلم بهم . من اين جئتم ؟. فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك جنتك قال : وهل رأوا جنتى ؟. قالوا : لا اى رب . قال : فكيف لو رأوا جنتى ؟ قالوا : ويستجيرونك . قال . ومم يستجيروننى ؟ قالوا : من نارك يارب . قال : وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا . قال : فكيف لو رأوا نارى ؟ قالوا : ويستغفرونك قال: قيقول : قد غفرت لهم واعطيتهم ما سألوا واجرتهم مما استجاروا. قال : فيقولون : رب فيهم فلان عبد خطّاء إنما مر فجلس معهم . قال : فيقول : وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم [1].

نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من الذاكرين جلساء الملائكة المطهرين . اللهم امين يارب العالمين .

---

(1) رواه الشيخان .

المراجـــــع

١- القرآن الكريم

٢- التعريفات للجرجانى

٣- العقيدة الاسلامية عبد الرحمن حسن حينكه .

٤- اغاثة اللهفان .

٥- الفصل فى الملل والنحل .

٦- المنتخب من السنه .

٧- المواقف .

٨- الهداية لابن سينا .

٩- تفسير ابن كثير .

١٠- تفسير أبو السعود .

١١- تفسير الفخر الرازى .

١٢- تفسير القرطبى .

١٣- تفسير الكشاف .

١٤- تهافت الفلاسفة .

١٥- رسائل فى الحكمة والطبيعيات .

١٦- سنن أبو داود .

١٧- سنن الترمذى .

١٨- شرح المقاصد .

١٩- صحيح البخارى .

٢٠- صحيح مسلم .

٢١- غالية المواعظ .

٢٢- لسان العرب لابن منظور .

٢٣- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين .

٢٤- مسند الامام احمد .